

## تفسير البحر المحيط

@ 528 @ والركوع والسجود والقعود الذي تعبد به ، أو إنما ذكر تعلق المنع بذكر اسم  
□ تنبيهاً على أنهم منعوا من أيسر الأشياء ، وهو التلفظ باسم □ . فمنعهم لما سواه  
أولى . وحذف الفاعل هنا اختصاراً ، لأنهم عالم لا يحصون . وجاء تقديم المجرور على  
المفعول الذي لم يسم فاعله ، لأن المحدث عنه قبل هي مساجد □ ، وهي في اللفظ مذكورة قبل  
اسم □ ، فناسب تقديم المجرور لذلك . وأضيفت المساجد □ على سبيل التشريف ، كما قال  
تعالى : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ } ، وخصّ بلفظ المسجد ، وإن كان الذي يوقع فيه  
أفعالاً كثيرة من القيام والركوع والقعود والعكوف . وكل هذا متعبد به ، ولم يقل مقام  
ولا مركع ولا مقعد ولا معكف ، لأن السجود أعظم الهيئات الدالة على الخضوع والخشوع  
والطواعية التامة . ألا ترى إلى قوله صلى □ عليه وسلم ) : ( أقرب ما يكون العبد من ربه  
وهو ساجد ) ؟ وهي حالة يلقي فيها الإنسان نفسه للانقياد التام ، وبيّش بأفضل ما فيه  
وأعلاه ، وهو الوجه ، التراب الذي هو موطن قدميه . .  
قال ابن عطية : وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة ، أو خرّب مدينة  
إسلام ، لأنها مساجد ، وإن لم تكن موقوفة ، إذ الأرض كلها مسجد . وقال الزمخشري : فإن قلت  
: كيف قيل مساجد □ ؟ وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس ، أو  
المسجد الحرام ؟ قلت : لا بأس أن يجيء الحكم عامّاً ، وإن كان السبب خاصاً ، كما تقول  
لمن آذى صالحاً واحداً ، ومن أظلم ممن آذى الصالحين ؟ وكما قال □ عز وجل : { وَيَلِدُ  
لِلْكَافِرِ هُمَزَةً لَّيْمَةً } ، والمنزول فيه الأحنس بن شريق . انتهى كلامه . وقال غيره :  
جمعت لأنها قبلة المساجد كلها ، يعني الكعبة للمسلمين ، وبيت المقدس لغيره . { وَسَعَى  
فِي خَرَابِهَا } : إما حقيقة ، كتخريب بيت المقدس ، أو مجازاً بانقطاع الذكر فيها  
ومنع قاصديها منها ، إذ ذلك يؤول بها إلى الخراب . فجعل المنع خراباً ، كما جعل  
التعاهد بالذكر والصلاة عمارة ، وذلك مجاز . وقال المروزي : قال ومن أظلم ليعلم أن قبح  
الاعتقاد يورث تخريب المساجد ، كما أن حسن الاعتقاد يورث عمارة المساجد . .  
{ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ } : هذه جملة  
خبرية قالوا تدلّ على ما يقع في المستقبل ، وذلك من معجز القرآن ، إذ هو من الإخبار  
بالغيب . وفيها بشارة للمؤمنين بعلو كلمة الإسلام وقهر من عاداه . إلا خائفين : نصب على  
الحال ، وهو استثناء مفرّغ من الأحوال . وقرأ أبي : إلا خيفاً ، وهو جمع خائف ، كنائم  
ونوم ، ولم يجعلها فاصلة ، فلذلك جمعت جمع التكسير . وإبدال الواو ياء ، إذ الأصل خوّف

، وذلك جائز كقولهم ، في صوم صيم ، وخوفهم : هو ما يلحقهم من الصغار والذل والجزية ،  
أو من أن يبطش بهم المؤمنون ، أو في المحاكمة ، وهي تتضمن الخوف ، أو ضرباً موجعاً ،  
لأن النصرى لا يدخلون بيت المقدس إلا خائفين من الضرب ، أقوال . والظاهر أن المعنى :  
أولئك ما ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد ا [ ] إلا وهم خائفون من ا [ ] وجلون من عقابه . فكيف لهم  
أن يلتبسوا بمنعها من ذكر ا [ ] والسعي في تخريبها ، إذ هي بيوت أذن ا [ ] أن ترفع ويذكر  
فيها اسمه { يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } ؟ وما هذه سبيله ينبغي أن  
يعظم بذكر ا [ ] فيه ، ويسعى في عمارته ، ولا يدخله الإنسان إلا وجلاً خائفاً ، إذ هو بيت  
ا [ ] أمر بالمثل فيه بين يديه للعبادة . ونظير الآية أن يقول : ومن أظلم ممن قتل ولياً  
[ ] تعالى ؟ ما كان له أن يلقاه إلا معظماً له مكرماً أي هذه حالة من يلقى ولياً [ ] ، لا  
أن يباشره بالقتل . ففي ذلك تقبيح عظيم على ما وقع منه ، إذ كان ينبغي أن يقع ضده ،  
وهو التبجيل والتعظيم . ولما لم يقع هذا المعنى الذي ذكرناه للمفسرين ، اختلفوا في  
الآية على تلك الأقوال التي ذكرناها عنهم . ولو أريد ما ذكروه ، لكان اللفظ : أولئك ما  
يدخلونها إلا خائفين ، ولم يأت بلفظ : ما كان لهم ، الدالة على نفي الابتغاء . وقيل  
المعنى : ما كان لهم في حكم ا [ ] ، يعني أن ا [ ] قد حكم وكتب في اللوح المحفوظ أنه ينصر  
المؤمنين ويقولهم حتى لا يدخل المساجد الكفار إلا خائفين . قال بعض الناس : وفيها دلالة  
على جواز دخول الكفار المساجد على صفة الخوف ، وليس كما قال ، إذ قد ذكرنا ما دلّ عليه  
ظاهر الآية . وقيل في قوله : { أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا } : أن  
لفظه لفظ الخبر ، ومعناه الأمر لنا بأن نخيفهم ، وإنما ذهب إلى ذلك لأن ا [ ] تعالى قد أخبر  
أنهم سيدخلون بيت المقدس على سبيل القهر والغلبة بقوله